٢٥

بما كانوا يكسبون لعلهم استعجلوا ذكر العذاب كما قال تعالى في هذه السورة بعد هذه الآية ويقولون
متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قوله عطف على فعل محذوف دل عليه أن الفاء في قوله فنذر يستدعي
معطوفا عليه ولا يجوز أن يكون فنذر معطوفا على قوله يعجل أو قوله لقضي إذ لو كان كذلك لدخل في الامتناع الذي
يقتضيه كلمة لو وتركهم في طغيانهم ليس بممتنع بل واقع فهو معطوف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية
فإن قوله تعالى ولو يعجل يتضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل ولا نقضي فنذرهم إمهالا لهم واستدراجا أو إصلاحا لهم
وإهلاكهم إذ ربما آمنوا بعد ذلك أو ربما خرج من صلبهم من كان مؤمنا وذلك يقتضي أن لا يعاجلهم الله
بإيصال الشر إليهم المستلزم لإماتتهم وإهلاكهم بناء على أن تركهم في الدنيا لا يعجل العذاب المتوعد به
ويسمى العذاب شرا في هذه الآية لأنه أذى في حق المعاقب ومكروه عنده كما أنه تعالى سماه سيئة في قوله
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة قال الإمام في وجه انتظام قوله تعالى وإذا مس الإنسان
الضر دعانا لجنبه بما قبله أنه تعالى بين في الآية الأولى أنه لو أنزل العذاب على العبد في الدنيا لهلك ولقضي عليه فبين في
هذه الآية ما يدل على غاية ضعفه ونهاية عجزه ليكون ذلك مؤكدا لما ذكره من أنه لو أنزل العذاب عليه
لمات والوجه الثاني في وجه الانتظام أنه تعالى حكى عنهم أنهم يستعجلون في نزول العذاب ثم بين في هذه الآية
أنهم كانوا كاذبين في ذلك الطلب والاستعجال لأنه لو نزل بالإنسان أدنى شيء يكرهه فإنه يتضرع إلى الله تعالى في
إزالته عنه وذلك يدل أنه ليس صادقا في هذا الاستعجال الطلب قوله لجنبه في محل النصب على أنه
حال من فاعل دعانا ولذلك عطف عليه الحال الصريحة قوله أو الأمثال المصادفات من الضر ما يغلب الإنسان
ويجعله صاحب فراش يضطره إلى الاضطجاع ومنه ما يكون أخف من ذلك ويجعله بحيث يقدر على القعود
ومنه ما يتمكن الإنسان معه على القيام قوله كأنه لم يدعنا أي كأنه ضمير الشأن لأن حق الحروف المشبهة أن تدخل
على المبتدأ والخبر سواء أو بقيت بالتخفيف لا يبطل إلا العمل وعلى هذا لا حاجة إلى ضمير الشأن في قوله
كأن ثدياه حقان فالتمثيل به ليس الأولى لأن بطلان العمل بالتخفيف [illegible] والضمير في ثدياه
يرجع إلى النحر وحقان تثنية حقة والأصل حقتان فحذفت التاء على خلاف القياس وخففت كأن فبطل عملها
حيث روي ثدياه بالألف وروي ثدييه بالياء على أنها عملت في الظاهر وهو شاذ وقوله تعالى كأن لم يدعنا
في محل النصب على أنه حال من فاعل مر أي مضى على طريقته [illegible] قوله مثل ذلك
التزيين إشارة إلى أن الكاف من كذلك في موضع النصب على المصدر والمراد بالتزيين الإعراض عن الابتهال والدعاء
في [illegible] فإنه لا شبهة في أن المرء
كما يكون مسرفا في الإنفاق كذلك يكون مسرفا فيما تركه من واجب وتقدم عليه من قبيح إذا تجاوز الحد فيه
فإن من بذل ما أنعم الله عليه من الحواس والعقل والفهم والقدرة لاكتساب الشهوات الباقية الأبدية لتحصيل لذات
الدنيا وطيباتها الخسيسة كان قد أنفق أشياء عظيمة كثيرة لأجل أن يفوز بأشياء حقيرة خسيسة فيكون مسرفا

من المسرفين قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا الظاهر أنه معطوف على ظلموا أي أصروا على الكفر حتى البينة بحيث لم يبق
في إمهالهم فائدة أهلكناهم فيكون سبب إهلاكهم مجموع هذين الأمرين فإن ظلمهم عبارة عن اختيارهم التكذيب وما منوا عليه
وهذا عبارة عن إصرارهم على التكذيب بحيث لا فائدة في إمهالهم قوله استخلاف من بعدهم إشارة إلى أن قوله تعالى
هذه الأمة ثم جعلناكم خلائف لننظر كيف تعملون يشعر بأنه كان بأحوالهم قبل وجودهم وأنه يحتاج في العلم
بها إلى الاختبار والامتحان وأنه محال وتقرير الجواب ما قالوا أن المراد منه أنه تعالى يعامل العباد معاملة من يطلب
العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا وفي الحديث إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله
مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وعن قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء إلا لينظر إلى أعمالنا
فأروا الله من أعمالكم خيرا بالليل والنهار فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية المبنية على استعارة تصريحية تبعية
أما كونه من قبيل الاستعارة التمثيلية فظاهر لأنه تعالى منزه عن حقيقة الاختبار لكنه شبه استخلافهم على الوجه
المذكور من غير فأخرج كلامه في صورة كلام المختبر وأما كونها مرتبة على استعارة تصريحية تبعية
فلأن النظر في اللغة عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي فلا شك أنه مستحيل في حقه تعالى
من وجوه فلا بد أن يجعل النظر في حقه تعالى مجازا عن العلم المحقق المتعلق ببيان المرئي
الذي لا يتطرق إليه الشك والشبهة بأن يشبه هذا العلم بنظر الناظر وإذا رأى عين المرئي
على سبيل المعاينة والمشاهدة ويطلق عليه لفظ النظر والرؤية على سبيل الاستعارة
التصريحية فلما اشتق منه لفظ لننظر سرت هذه الاستعارة إليه تبعا قوله
وفائدته أي فائدة إيراد كيف وأن لا يقال لينظر عملكم أخيرا أم شرا مع أنه أخصر منه
الدلالة على أن العبرة في الجزاء بجهات الأفعال فإن كيف للسؤال عن الحال فكأنه قيل لينظر
على أي حال تعملون ثم إنه تعالى حكى عن المشركين نوعا ثالثا من كلماتهم التي ذكروها في الطعن في
نبوته عليه السلام وأجاب عنه وهو قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات الآية روي أن خمسة [illegible]
كانوا يستهزؤون بالرسول فقتل الله كل رجل منهم كما قال إنا كفيناك المستهزئين فهذه الآية نزلت
في حقهم وقوله تعالى لا يرجون لقاءنا عبارة عن كونهم مكذبين للحشر والنشر منكرين للقيامة قوله
بكتاب آخر ليس فيه ما نستبعده فسرها [illegible] بقرآن غير هذا أو بدله [illegible]
الله عليه السلام إذا أتى هذا القرآن بعينه فقد أتى بغير هذا القرآن وكذا إذا أتى بغيره فقد بدله وإذا كان
كذلك كان كل واحد من هذين الأمرين عين الآخر [illegible]
أحدهما [illegible]
على الترديد والتخيير [illegible] بعد كون القرآن المقترح على ترجيح هذا القرآن المنزل [illegible]
وكونه خاليا عما يستبعدونه من أمر البعث والجزاء وعما يستكرهونه من ذم آلهتهم وتحقيرها فسر التبديل بأن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1